

106441 - هجرت صاحباتها فأثّر ذلك على دينها ، وصايا ونصائح

السؤال

عندى مشكلة ، لا أستطيع أن أتخذ فيها قراراً ، لكن القرار لا بدّ أن يكون خلال هذه الأيام ، لدي صحبة ، أحسبها والله حسيبها أنها صالحة ، أنا فتاة عمري 22 سنة ، منذ 4 سنوات ماضية تعرفت عليهن منذ دخول الجامعة ، نتعاون على الخير ، حفظنا سوية 15 جزءاً من كتاب الله ، حررنا مجلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من رائعة ، وقفن معي في وجه عاصفة رهيبة شنها على المحيط بأجمعه في الجامعة التي نحن فيها ، لدينا حلقة يومية نتدارس فيها كتاب الله !! لكن المشكلة هي أنني لم أعد أطيقهن ، أشعر أنهن أمامي بوجه ، ومن خلفي بوجه آخر ، بعض المواقف السخيفة ولدت هذه الأفكار لدي ، منعت اتصالي بهن ، أو لقاءهن ، واعتذر لهن عن ذلك ، جعلت حديثنا على البريد فقط ، بكلمات بسيطة : كيف الحال ، الحمد لله ، انتهى ، أما الحفظ ، والذكر ، والمشاريع الباقية : كلها أوقفتها ، كرهتهن بمعنى الكلمة – والله – إلى الآن لم أكمل حفظي ، وعندى فتور رهيب في العبادة ، ولا قيام ، ولا صيام ، ولا أدرى فهو شيطان حل بداخلي أم ماذا ؟ هن يردن الآن أن نقر ما الذي أريده لأنني قررت أن أنعزل عن البشر كلهم ، أصبحت حسودة ، حسودة ، قلبي أشد سواداً من الليل ، وكله لأنني أشعر أن صحتي هذه فيهن قليل من التعلق المنبوذ بالدنيا ، مظاهر ، وما إلى ذلك من أشياء البناء ، ماذا أفعل ؟ حتى رسائل التذكرة منها تحديدأً لا أقبلها ، والله أني أمسحها من قبل أن أقرأها ! . أخشى أن أقول لهن إنني سأتركهن للأبد فأنك سواداً في قلوبهن ؛ لأنهن جعلتنني قدوة ، بعضهن يحلف بالله أن لولا الله ثم أنا ما كن يؤذين الصلاة بالمرة ، وصلاة الليل ، وإفطار يوم وصيام يوم ، والحفظ ، والتسميع ، والجوال ليقاظ بعضنا لصلاة الفجر ، والقيام ، لكن قلبي أصبح يكرههن كرهاً حقيقةً ، أعلم أنه من الشيطان ، لكن والله ما قدرت أدفعه ، كيف أعيش معهم ، أضغط على نفسي ، وأترك مشاريع العزلة ، وأعود ، رسائلهن قتلتني من شدة الإلحاح علي بالعودة ، ويسألنني بالله أن أرد ، حتى دراستي أشعر أنهن أثربن علي ، وأي مصيبة تصيبني أقول : هذا عذاب من ربّي ؟ لأنني فعلت لفلانة كذا ، ما أبغى أحس أن ربّي يفضل أحداً علي ، ليس في الدنيا ، لكن في كل شيء ، أظن عذابي أشد من عذاب الرّسل ؛ لأن الرّسول يعلم يقيناً أن الله يحبه ، وأن الله معه ، أما أنا : أخشى أن عذاب ربّي قد حلّ بي ، لأي سبب ؟ لا أعرفه ، أعتزلهن أم أعود ؟ ماذا أقول لهن ؟ من يقع في مشكلة يراها كبيرة ولا يعلم أين المخرج ، أرشدني بخبرتك لأنني سأتوك على ربّي ، ثم سأخذ مشورتك . جزيت الجنة .

الإجابة المفصلة

أولاً:

لا شك أن ما تشعرين به – يا أمة الله – تجاه أخواتك إنما هو بسبب الشيطان ، ومكره ، وكيده ، ولم يحدث من هؤلاء الأخوات - على حسب ما جاء في رسالتك - ما يجوز لك تلك التصرفات معهن ، بل لو وقع منهم بعض الخطأ أو التقصير والذنب ، فكل الناس كذلك ، ومن ذا الذي ما ساء قط ؟!!

وهو يدل على أن الأمر محض مكيدة من الشيطان ليوقعك فيما وصل حالك إليه ، ونأسف أنه نجح في هذا ، فبغض إليك تلك الصحبة ، فحصل الفتور في الطاعة والعبادة .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا حُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَبَعُ حُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) النور / 21 .

واعلمي أن من خطوات الشيطان التي يسلكها مع الطائعين ربهم تعالى :

1. التحریش بين المسلمين ، وبالأخص بين الصحبة الصالحة .

عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصْلُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُمْ) رواه مسلم (2812)

قال النووي - رحمه الله - :

هذا الحديث من معجزات النبوة ، ... ، ومعناه : أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ، ولكنه سعى في التحریش بينهم ، بالخصوصات ، والشحنة ، والحروب ، والفتن ، ونحوها .

" شرح مسلم " (156 / 17).

2. أن يبغض إليهم الصحبة الصالحة ، ويحبب إليهم العزلة الضارة .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَا مِنْ تَلَاثَةٍ فِي قُرْبَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقْامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّلِيلَ الْقَاصِيَةَ) .

رواہ أبو داود (547) والنمسائي (847) ، وحسنہ الألبانی في " صحيح أبي داود " .

وَعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ ذَلِيلُ الْإِنْسَانِ كَذَلِيلُ الْقَمَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالثَّاجِيَةَ وَإِبَاكُمْ وَالشَّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ) .

القاصية : المنفردة عن القطيع البعيدة عنه

رواہ أحمد (22029) ، وحسنہ محققو المسند .

قال المناوي - رحمه الله - :

(إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم) أي : مفسد للإنسان ، أي : ياغوائه ، ومهلك له ، كذئب أرسل في قطع من الغنم .

(يأخذ الشاة القاصية) أي : البعيدة عن صواحباتها ، ... وهو تمثيل ، مثل حالة مفارقة الجماعة ، واعتزاله عنهم ، ثم تسلط الشيطان عليه : بحالة شاة شاذة عن الغنم ، ثم افتراس الذئب إليها بسبب انقطاعها ، ووصف الشاة بصفات ثلاث : فالشاذة هي النافرة ، والقاصية هي التي قصدت البعد لا عن تنفير ، (والناحية) بحاء مهملة التي غفل عنها ، وبقيت في جانب منها ؛ فإن الناحية هي التي صارت من ناحية الأرض .

ولما انتهى التمثيل حذر فقال : (وإياكم والشعاب) أي : احذروا التفرق ، والاختلاف .

(وعليكم بالجماعة) تقرير بعد تقرير ، وتأكيد بعد تأكيد ، أي : الزموها ، وكونوا مع السواد الأعظم ؛ فان من شدد شد إلى النار .
(والعامة) أي : السواد الأعظم من المؤمنين .

(والمسجد) أي : لزومه ؛ فإنه مجمع الأخيار ، وموطن الأبرار ، وأحب البقاع إلى الله تعالى ، ومنه ينفر الشيطان .
" فيض القدير " (350 / 2).

فاحرصي على إغلاق الطريقين أمام الشيطان ، ولا تفتحي على نفسك أبواباً من الشر ، ولم يصبك الفتور ، وقلة العزم على الطاعة إلا بعد أن تمكن الشيطان من السير بك على الطرق التي أرادها لك ، ولعل نظرة لحالك الآن مع مقارنة بحالك من قبل أن يتبيّن لك أن الأمر

مكيدة ومكر من الشيطان ، فاحذر ، وتنبهي .

والصحبة الصالحة من أعظم ما يثبت المسلم على دينه ، فاجتهدي في إقامتها على شرع الله تعالى .

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَئْيَانِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا وَشَبَكُ أَصَابِعَهُ .

رواه البخاري (467) ومسلم (2585) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " عليك بإخوان الصدق ؛ فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء " .

واحرصي على الطاعات والأعمال الصالحة ، فهي خير زاد للثبات ، كما قال تعالى : (يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) إبراهيم / 27 ، وقال عز وجل : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) النساء / 66 .

واحرصي على المداومة على الدعاء ، والتضرع إلى الله تعالى أن ينتفك على دينه ، وأن يزيدك هدى وتوفيقاً وصلاحاً ، فهكذا كان حال المؤمنين ، كما حكى الله تعالى عن حالهم ، في قوله سبحانه وتعالى : (رَبَّنَا لَا تُرِغِّبْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ) آل عمران / 8 .

عَنْ أَنَّسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبِّثْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) .

رواه الترمذى (2140) وابن ماجه (3834) ، وصححه الألبانى في " صحيح الترمذى " .

ولإصلاح ما بينك وبينهم لا يحتاج الأمر لكثير عناء ، فأرجعي تلك العلاقة الطيبة بالرد على رسائلهم ، ومكالماتهم ، وأخبريهن أنك مررت بظروف خاصة ، ولا داعي لذكر تفصياتها ، ويكتفى أن تكون درساً لك لمستقبل الأيام .

ثانياً:

احذر أشد الحذر من العزلة والانفراد ، فهما بداية الانحدار والسقوط للهاوية ، ولو كانت عزلتك عزلة عبادة وطاعة لكان لها وجه من الشرع ، أما تلك العزلة التي تؤدي إلى الفتور : فهي عزلة محترمة ، وتصير خلطتك مع أصحابتك واجبة ، فتنبهي لهذا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

وأما قوله " هل الأفضل للسائل العزلة أو الخلطة " : فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعاً كلياً ، وإما حالياً ، فحقيقة الأمر : أن الخلطة تارة تكون واجبة ، أو مستحبة ، أو الشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة ، وبالإنفراد تارة ، وجماع ذلك : أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى : فهي مأمور بها ، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان : فهي منهى عنها ، فالاختلاط بال المسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس وال الجمعة والعيدین وصلة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك : هو مما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الاختلاط بهم في الحج ، وفي غزو الكفار ، والخوارج المارقين ، وإن كان أئمّة ذلك فجاراً ، وإن كان في تلك الجماعات فجّاراً .

وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانا : إما لانتفاعه به ، وإما لنفعه له ، ونحو ذلك .

ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه ، وذكره ، وصلاته ، وتفكيره ، ومحاسبة نفسه ، وإصلاح قلبه ، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره ؛ فهذه يحتاج فيها إلى إنفراده بنفسه ، إما في بيته - كما قال طاووس " نعم صومعة الرجل بيته ، يكف فيها بصره ولسانه " - وإنما في غير بيته .

فاختيار المخالطة مطلقاً : خطأ ، و اختيار الانفراد مطلقاً : خطأ ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا ، وهذا ، وما هو الأصلح له

في كل حال : فهذا يحتاج إلى نظر خاص - كما تقدم - .
"مجموع الفتاوى" (10 / 425 ، 426) .

ولتعلمي - يا أمة الله - أن البلايا التي نزلت بقلبك : من الحقد والحسد ، هي كلها ، مع حalk هذه حلقة واحدة ؛ فإن من ثواب الحسنة :

الحسنة بعدها ، ومن عقاب السيئة : السيئة بعدها .

لو كنت عاقلة للأمر كما ينبغي لعلمت أن الله تعالى أعلم بخلقه ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، بعلمه في خلقه سبحانه ، وحكمته التي أرادها لهم :

قال الله تعالى : (إِنَّظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلآخرة أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (الاسراء:21) وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ فَيَتَّنَّا
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (الأنعام: 53) . قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : "أي:
هذا من ابتلاء الله لعباده، حيث جعل بعضهم غنيا؛ وبعضهم فقيرا، وبعضهم شريفا، وبعضهم ضيغا، فإذا من الله بالإيمان على الفقير أو
الوضيع؛ كان ذلك محل محنـة للغنى والشـريف، فإنـ كان قصـده الحقـ واتـبعـهـ، آمنـ وأـسلـمـ، ولـمـ يـمـنـعـهـ منـ ذـلـكـ مـشارـكـهـ الـذـيـ يـراـهـ دونـهـ"
بالغنى أو الشرف، وإن لم يكن صادقا في طلب الحقـ، كانتـ هـذـهـ عـقـبةـ تـرـدـهـ عنـ اـتـبـاعـ الـحـقـ؛ وـقـالـواـ مـحـتـقـرـيـنـ لـمـ يـرـونـهـ دونـهـ: {
أَهُؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}؛ فـمـنـعـهـ هـذـاـ مـنـ اـتـبـاعـ الـحـقـ، لـعـدـمـ زـكـائـهــ. قالـ اللهـ مـجـبـاـ لـكـلامـهـ المتـضـمـنـ الـاعـتـراضـ عـلـىـ اللهـ فيـ
هـدـايـةـ هـؤـلـاءـ، وـعـدـمـ هـدـايـتـهـمـ هـمـ. {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}ـ الـذـيـنـ يـعـرـفـونـ النـعـمـةـ، وـيـقـرـونـ بـهـاـ، وـيـقـومـونـ بـمـاـ تـقـضـيـهـ مـنـ الـعـلـمـ
الـصـالـحـ، فـيـضـعـ فـضـلـهـ وـمـنـتـهـ عـلـيـهـمـ، دـوـنـ مـنـ لـيـسـ بـشـاـكـرـ، فـإـنـ اللـهـ تـعـالـىـ حـكـيمـ، لـاـ يـضـعـ فـضـلـهـ عـنـدـ مـنـ لـيـسـ لـهـ بـأـهـلـ، وـهـؤـلـاءـ الـمـعـتـرـضـونـ
بـهـذـاـ الـوـصـفـ، بـخـلـافـ مـنـ مـنـ اللـهـ عـلـيـهـمـ بـالـإـيمـانـ، مـنـ الـفـقـرـاءـ وـغـيـرـهـمـ فـإـنـهـمـ هـمـ الشـاـكـرـوـنـ." تـفـسـيرـ السـعـديـ (258).

لقد كان الواجب عليك - يا أمة الله - أن تسارعي في فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وأن تسبقي الناس إلى ذلك ، كما قال رب العالمين :

(فَأَسْتِيقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْبَئُكُمْ بِمَا كُنْתُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة/48 .

قال الحسن البصري رحمه الله : "نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في ديناك فألقها في نحره " .

وأما أن تقعدـي عنـ الـخـيـرـاتـ ، وـتـشـغـلـيـ قـلـبـكـ بـالـأـمـرـاـضـ ، وـنـفـسـكـ بـالـسـوـاـتـ ، فـلـيـسـ هـذـاـ مـنـ فـعـلـ الـعـلـاءـ فـيـ شـيـءـ .

نـسـأـلـ اللـهـ تـعـالـىـ أـنـ يـهـدـيـكـ لـمـاـ يـحـبـ وـيـرـضـيـ ، وـأـنـ يـصـلـحـ بـالـلـكـ وـحـالـكـ ، وـأـنـ يـثـبـتـ قـلـبـكـ عـلـىـ الإـيمـانـ وـالـطـاعـةـ ، وـنـرـجـوـ أـنـ تـعـمـلـ بـمـاـ ذـكـرـنـاـ لـكـ مـنـ الرـجـوعـ عـنـ مـقـاطـعـتـكـ لـأـخـوـاتـكـ ، وـمـنـ الـحـرـصـ عـلـىـ تـلـكـ الصـحـةـ الطـيـبـةـ ، وـمـنـ إـبـعادـ كـيدـ الشـيـطـانـ وـوـسـوـسـتـهـ عـنـكـ ،
وـنـرـجـوـ اللـهـ أـنـ يـوـفـقـكـ لـلـعـلـمـ بـذـلـكـ .

وـالـلـهـ أـعـلـمـ